

النص والمنهج لتفكيك المواجهة في جدلية التلقي.

الدكتور رايس زواوي

قسم العلوم الإجتماعية - جامعة سيدي بلعباس.

الملخص.

لقد إكتسب مصطلح الهيرمونوطيقا عبر تاريخ توظيفه بالأخص مع شلايرماخـر (Danial Schleiermacher 1768 - 1834) منحى معقد نوعاً ما، لإرتباطه باللغة بشكل نوعي، إضافةً إلى آخرين مثل دلتاي،



ريكور، غادامير، هيدجر لتصبح الهيرمونوطيقا فن الفهم والتأويل، وإذا كانت اللغة* بمثابة حلقة خلقت منها (الهيرمونوطيقا) غموضاً، إلا أنها أتاحت لها أن تفهم النص إنطلاقاً من الذات والكيونة .

يبدو أنّ مصطلح الهيرمونوطيقا الهيدجري قد إقتبسه من أستاذه هوسرل (Husserl) في هيرمونوطيقا الحدس: " فالفكرة الأعمق لدى هيدجر هو أنّ هذه الدلالية الأولى ترتبط داخلياً بتجربتنا الخاصة

* - إعتادنا دائماً، إلى النظر إلى اللغة من داخل المنظومة السوسورية (De Saussurienne) أي كمنظومة مجردة ونسقية، ويمثل شلايرماخـر حلقة تطور اللغة أثناء ربطها بالتأويل من خلال النص أي كل سوء فهم النص يتطلب فهمه والحاجة إلى إدراكه، وتزداد الحاجة إلى فهمه ، كلما كانت الرغبة في حلّ شفرته متاحاً..

وبطريقة تواجدنا - في- العالم " 8 5 حيث العالم في وجوده المعطى ، فإنه ذو دلالة، لكن حتى الإنتظام في هذه الأجسام المتحركة تحتاج إلى أن تنتظر إلى التنظيم:" والتي بدورها تحتاج إلى تأويل " 8 6 كما رأى ذلك نيتشه (Nietzsche) ، فيربط هيدجر الحدس بالفهم كشكل من أشكال التعرف على هذه الأجسام المتحركة التي إنتظمت تحت قوة تأويلية. وإزدادات القصدية تأثيراً في تفكير هوسرل، عندما إعتبر بالأخص أنّ كل شعور ، هو شعور بشيء ما ، ليذهب هيدجر بهذا الحدس الفهمي للهيرمينوطيقا إلى ربط الحدس بالفهم لا لكونه:" يرجع إلى وجود بنية عقلية مسبقة" 8 7 ، بل لأنّ هذا الحدس ينطلق مني وبشكل ثابت ، حيث تميّز هيدجر أنّه قضى على الهيرمينوطيقا التقليدية لأنّه صارت تُعنى بالوجود ذاته.

يتحدث هيدجر بأنّ - الكائن هنا - يمرّر لنا رسالة مفادها أنّ الدازاين (Da- sein) لا يُمكن تلمّسه بوصفه موضوعاً ، وهذا الموضوع يقف في مواجهتي ، فهو إذن في ندية مع ذاتي ، فترى الواحد منا مثلاً إذا أتاح لنفسه أن يتعرف على صورته ثانية أو على صورته في المرآة ، فإنه تراه يُصابُ بإندهاش من صوته أو صورته ، فيجيب

85 - غراندان (جان)، المنعرج الهيرمينوطيقي للفينومينولوجيا، تر: عمر مهيل، الدار

العربية للعلوم- ناشرون- منشورات الاختلاف- بيروت، ط1، 2005، ص 105.

86 - المصدر نفسه ، ص 106.

87 - المصدر نفسه ، ص 107.

هيدجر: " بأنّ الدازاين في حدّ ذاته ليس موضوعاً للتأمل ، بل إنّّه يوجد دائماً لتلبية أي نداء بالإكتمال " 8 8 .

فعبارة " أنا هنا " ، يعني أنّه لا يمكنني التخلي عن هذا الوجود الخاص بي ، وهو تحقيقٌ أن أنجز هذا الحدث وأومارسيه.. فا- الأنا - يقابله في الإنجاز بالحدث "ibid" ، هذا الأخير يعيش دوماً داخل الإنهمام بالذات: " إنّ مهمّة الهومينوطيقا هي أن تجعل كل الدازاين يُحسن إرهاف السمع لوجوده ، أن ينظر في خصوصياته ، أن يتواصل معه، وأن يعمل على محاربة إغتراب الذات المسلّط على الدازاين " 8 9 .

وأن يكون الفهم هو عنوان الهيرمينوطيقا ، فهذه مغامرة ، تستحق التنويه أكثر على الرجوع إلى ذواتنا ، فهي أكثر من كونها راديكالية ، وهذا الفهم لابدّ أن يتحدّد إنطلاقاً من الفضيلة (Vertu) وبالتالي تُسقط عنها كونها: "منهج" ، أو ميدانٌ للموضوعات المختلفة " 9 0 . لهذا النصّ الفينومينولوجي هو بمثابة نصّ مشفّر يحتاج إلى إستنطاق ، وهذا ما يجعل من إصدارنا للأحكام فينومينولوجياً على فهم النصّ أنّه بمثابة مجاملة.

إذن ، نتحدث عن علاقة الجزء بالكل ، فبالنسبة لغادامير إندماج التأويل في الظاهرة ، هو تحليل لعلاقة الإستيمولوجيا بالمنهج ، أما ريكور حدّدها على أساس الإدراك الحسي ، ولكن ما يجمع الإثنين هو القراءة.

88. - المصدر السابق ، ص 108 .

89. - المصدر نفسه ، ص 110 .

90. - المصدر نفسه ، ص 155 .

يركّز غادامير في عملية الفهم الفينومينولوجي على دور التاريخ واللغة في ترسيخ عملية فهم النص ، حيث تحديد الفهم هو من خلال فكرة الحوار مع الآخر (النص وغيره..) فجاء تحرير النص من الأصول الميتافيزيقية.

إتبع ريكور (Ricoeur) كما يبدو لتحليل فلسفته ما سماه ببناء أنطولوجيا للفهم من خلال إبستمولوجيا للتأويل أي ممارسة النقد على مختلف التأويلات وبيان حدودها وإستيعاب ما هو مكتشف من تكوينية الكائن.

تعد الأنوار حالة نفسية وموقفاً عقلياً إتجاه الحياة يتميز بالإستقلال والانفتاح والنقد. فتحليلاته هي معالجة تمزقات الوعي المعاصر، أي التمزقات التي أنتجها عصر التقنية والإفرازات السلبية للحدث، حيث يصف: «وضعية الفلسفة المعاصرة بكونها مأزومة»⁹¹. فالقضايا الأساسية والجذرية: «للفلسفة التأملية هي تلك المتعلقة بمعرفة الذات كحامل المعرفة والإرادة والتقدير ، وبتعبير آخر ، فإنّ التأمل هو هذه العملية التي نعود فيها على ذواتنا في وضوح ذهني ومسؤولية أخلاقية

- حسن بن حسن ، النظرية التأويلية عند بول ريكور ، منشورات الاختلاف -⁹¹ بيروت ، ط 2 ، 2003 ، ص 07.

Cf. Ricoeur (Paul), Meurt le personnalisme, revient la personne, in Esprit, janvier 1983, p.113...119.

لنمسك بموجبها بمبدأ موحد لمختلف العمليات التي تتوزع عليها الذات والتي تنسى فيها نفسها بفعل هذا التشتت نفسه»⁹².

إذا أُعتبر الأنا أفكر هو وحدة الإدراك المتعالي يجب أن يرافق كل تمثلاتنا كما يقول كانط ، لكن كيف يتعرف الأنا أفكر على نفسه؟ كون إذا كنت: « لا أستطيع الإمساك بذاتي في مباشرة شفافة ، وبما أن التأمل ليس حدسياً باطنياً للذات ، فإنه يتعين عليّ باستمرار فك رموز مختلف تعبيرات جهدي من أجل الوجود لمعرفة مَنْ أنا »⁹³ ، كون التأويل هو التغلب على مسافة زمنية أو لغوية ما من المعنى ، حيث مع تغيرات الدلالة مع / ديلتاي / ليصبح المصطلح يشير إلى وضع قواعد كلية لفهم النصوص ، وهذا برفع من شأن التفسير (Exégèse) إلى مستوى العلم وهذا مع ريكور.

لقد عرف التأويل مع مارتن هايدجر (Martin Heidegger) تحوُّلاً نتيجة ما قام به لتحويل فهم النصوص من الإستمولوجيا إلى الأنطولوجيا بتجاوز المنظور المنهجي (الميتودولوجي) كان هذا بعد ديلتاي، وخصوصاً مع ريكور. فمن الانتقال لمعنى

- المرجع نفسه ، ص 13.92

CF. Ricoeur (Paul), Du texte à l'action, Edition du Seuil, 1986 ; p.25.

- المرجع السابق ، ص 13.93

CF. Ricoeur (Paul), Le conflit des interprétations, p.777.

Interprétation إلى Herméneutique يتحدد التأويل من خلال

منحيين هما:

- الغاية والمسك، فهي غايةً أنطولوجية ومسلك
إبستمولوجي، بإعتبار أن الأولى هي الجهد العقلي الذي يقوم
به لإرجاع معنى ظاهر ومجازي إلى معنى باطن وحقيقي.
- أما الثانية هي الوقوف على الكثافة الفلسفية من أجل
الإمساك بالكائن لتأويل تعبيرات جهده من أجل الوجود.

دائماً يستعيد ريكور التأويل لأجل التفكير التاريخي،
فلسفته التاريخية قد خضعت لبراديغم الوعي الذاتي. فيطرح
مشكلة التواصل على النمط التاريخي من خلال الأحداث، ليتيح
للتأويل فسحة يقترضها هذا الأخير من التاريخ لتحليل المفارقة بين
التأويل والترجمة (التفسير) بحضور التاريخ الذي يساعد دائماً على
أشكلة الموضوع، وهذا بداية تفكير الظاهرة الأدبية والإنسانية من
خلال محاولة تفكير الوضع الأنطولوجي - الإبستمولوجي أثناء العثور
عليه، وهذا بإستملاكه أي منحه حاضراً لأنه في موضع تفكير الآن.

جدل الكتابة/ القراءة.

يطرح النص بإستمرار علاقة بين ذاتية الوعي وعالم اللغة
التي تتم في النص من خلال رمزيته، وهذا يفرض أثناء القراءة
مجاملة النص لفهمه والدخول معه في علاقة قصدية تتم بمعاطفته

لتنطقه ، بعد أن إمتنع على أن يكون موضوعاً يتحدّد بالذات الواعية ، وهذا الفهم يكون من الداخل لتفكيك رمزية النص التي تُعد جوهر إستيطيقا النص في عبارته ، وهذا الفهم الداخلي المُستتر (Latente) للنص وما يطرحه من معاني ، لابد أن يتحدّد في الشكل الخارجي أي عملية الشرح الصوري ، وهذه العملية (الداخل والخارج) / (Latente Manifeste) هي بمثابة الثنية (Le pli) .

إنّ معاطفة النصّ أو حتى مجاملته هي تقنية لقراءة النصّ وفهمه بعمق ، بعد إعادة طرح قراءة القراءة الأصلية المُشفّرة ، وهذه التقنية (المجاملة) تخلق من النصّ إستجواب موقف ضمني وإخراجه إلى العلن ، فإذا لم يمتلك المتلقي أدوات القراءة ، فإنّه سيُصاب بالتيه داخل النصّ، بدون أن يدخل في علاقة متبادلة مع جوهر النصّ وأطاريحه . لهذا، تقنية المجاملة، جاءت كعملية فهم لما يريده النصّ من المتلقي ، وهذا دائماً يبقى ذاتياً ، لكنه يطرح أهم شيء وهي المغامرة ، التي تُؤسّسها إعادة القراءة وهذا لتشريح النصّ ، ما يفرض على المتلقي إمتلاك أدوات تعيين الحقيقة وإخراجها من حيز الغموض إلى حيز الفهم والشرح وعليه: " فإنّ الإمكانية المتوفرة لإنشاء علاقة بين ذاتية الوعي وعالم اللغة تتم في النصّ " ⁹⁴ من خلال الرمزية التي يطرحها النصّ لقول ريكور: " الرمزي هو الوساطة الشاملة

⁹⁴ -ناصر (عمارة) ، اللغة والتأويل: مقاربات في الهرمينوطيقا الغريبة والتأويل العربي الإسلامي
، منشورات الاختلاف - دار الفارابي - بيروت ، ط1 ، 2007 ، ص 24 .

للفكر بيننا وبين الواقع، إنه يُعبّر قبل كل شيء عن لا مباشرة فهمنا للواقع " 5 9 وهذا النصّ هو الفضاء الذي يتواصل إليه المؤلف ، حيث الكثافة في النصّ هي تعبيرٌ عن مدى فهم جدل القراءة / الكتابة من خلال التعابير ، وفي الرمزية التي يُحاكيها المتلقي بأدواته لفعل القراءة والكتابة في جدلٍ مستمرٍّ أثناء معايشة حيّز النصّ تشعر الذات بالإنفتاح كلما شُفرت رموزه ، حيث: " مهمة النصّ هي تقريب الذات من العالم عن طريق القراءة المفصلة للذات وللكتابة.. " 6 9 حيث النصّ لا يُنتج المعنى ، وإنّما القراءة المستعادة في شكل اللغة ، تكشف عن المعنى فيه لكون: " وحدة النصّ ليست في منبعه وأصله ، وإنّما في مقصده وإتجاهه " 7 9 وكما يذكر الأستاذ / عمارة ناصر / فإنّ النصّ تأليفٌ وتجميعٌ لنواة الحقيقة ، وتأويله تأليفٌ ، وهو ما يطرحه النصّ الديني لقوله تعالى: " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ " 8 9 حيث النصّ تأليفٌ والتأويل تأليفٌ ليشكّلا وحدةً لفهم النصّ ..

⁹⁵- Ricoeur (P), De L'interprétation, essai sur Freud, Edit ; Seuil, Paris, 1965, p.20.

⁹⁶- المرجع نفسه ، ص ص 25 - 26 .

⁹⁷- بارت (رولان) ، درس السيميولوجيا ، تر: عبد السلام بنعبد العالي ، دار طوبقال للنشر - المغرب ، ط 2 ، 1986 ، ص 87 .

⁹⁸- سورة القيامة ، الآية 16 .

المصادر والمراجع.

- 1- بارت (رولان) ، درس السيميولوجيا ، تر: عبد السلام بنعبد العالي ، دار طوبقال للنشر - المغرب ، ط2 ، 1986 .
- 2- حسن بن حسن ، النظرية التأويلية عند بول ريكور ، منشورات الإختلاف - بيروت ، ط2 ، 2003.
- 3- المرجع نفسه.
- 4- المرجع نفسه .
- 5- غراندان (جان) ، المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ، تر: عمر مهيل ، الدار العربية للعلوم - ناشرون - منشورات الإختلاف - بيروت ، ط1 ، 2005.
- 6- المصدر السابق.
- 7- المصدر نفسه .
- 8- المصدر نفسه .
- 9- المصدر نفسه .
- 10- المصدر نفسه.
- 11- ناصر (عمارة) ، اللغة والتأويل: مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي ، منشورات الإختلاف - دار الفارابي - بيروت ، ط1 ، 2007 .
- 12- المرجع نفسه .
- 13- سورة القيامة ، الآية 16 .

14- Ricœur (P), De L'interprétation, essai sur Freud, Edit ;
Seuil, Paris, 1965.

15- CF. Ricœur (Paul), Le conflit des interprétations.

16- Cf. Ricœur (Paul), Meurt le personnalisme, revient la
personne, in Esprit, janvier 1983

17- CF. Ricœur (Paul), Du texte à l'action, Edition du Seuil,
1986.